هوامش

أحصى مشروع «آثار بروجكت»، المعني بالبحوث بشأن الاتجار بالآثار، 90 مجموعة على فيسبوك مخصصة للاتجار بالآثار، تضم قرابة 300 ألف مستخدم. مع انتشار فيروس كورونا، بلغ عدد هذه المجموعات 130

يستغل اللصوص غياب دوريات الأمن عن كثير من المواقع الأثرية (Getty)

الفنون والآثار المسروقة

ضحية جديدة لفيروس كورونا المستجد

باختصار

لا تملك هيئة الشرطة الدولية أي أدلة على ازدياد في عمليات النبش، لكن في ظل تركيز الجهود كافة على حفظ الأمن الصحي، ثمة تراجع للدوريات في المواقع الأثرية.

■■■

جرت محاولة لسرقة أحجار من كاتدرائية نوتردام في باريس التي توقفت أعمال ترميمها خلال تدابير الحجر.

■■■

في هولندا، تعرضت لوحة للرسام فان غوخ إلى السرقة نهاية آذار/ مارس من متحف كان مغلقاً أمام العامة منذ أسبوعين.

بات التراث ضحية جانبية لجائحة كوفيد 19، مع الازدياد الكبير أخيراً في النشاطات التجارة الإلكترونية بالممتلكات الثقافية التي تدرّ مبالغ طائلة، بحسب تحذيرات خبراء، بموازاة احتفال يونسكو بالذكرى السنوية الخمسين لتوقيع اتفاقية العام 1970 للتصدي لهذه الآفة.

وفي 2019، أحصى مشروع «آثار بروجكت»، المعني بالبحوث بشأن الاتجار بالآثار والإرث الأنثروبولوجي، 90 مجموعة على فيسبوك مخصصة للاتجار بالمقتنيات الثقافية، تضم قرابة 300 ألف مستخدم. ويقدّر الأستاذ الجامعي السوري، عمرو العزم المشارك في إدارة المنظمة غير الحكومية، عدد هذه المجموعات حاليا بقرابة 130، موضحاً أن «بينها الكثير باللغة العربية، وهي تضم أكثر من نصف مليون شخص».

وأشارت منظمة الجمارك العالمية إلى «ازدياد عمليات الاتجار غير القانوني» بالآثار عبر الإنترنت، خصوصاً لقطع مقلّدة، مع الاعتماد المتزايد على الخدمات الرقمية في ظل الظروف الاستثنائية التي يشهدها العالم.

ويقول نائب المدير العام لشؤون الثقافة في منظمة يونسكو، إرنستو أوتوني راميريز، لوكالة «فرانس برس»، إن «الجائحة هي آفة»؛ إذ تؤدي إلى «ازدياد عمليات النهب وتراجع المعلومات والبعثات وعمليات المراقبة». ويشير منسق وحدة الأعمال الفنية في الإنتربول كورادو كاتيزي إلى أن هيئة الشرطة الدولية هذه «لا تملك أي أدلة على ازدياد في عمليات النبش غير القانونية. لكن يمكن الافتراض بأنه في ظل تركيز الجهود كافة على حفظ الأمن الصحي، ثمة تراجع في الدوريات خصوصا في المواقع الأثرية البعيدة في كثير من الأحيان عن المدن، كما أن الحقول الأخرى تحظى بتغطية أقل».

ويسجّل هذا المنحى بحدة أكبر في البلدان ذات المؤسسات الضعيفة أو التي تساهم الفوضى المهيمنة عليها في انتشار نشاطات الظل هذه. ومن بين هذه البلدان، تدفع سورية والعراق وأفغانستان فاتورة باهظة منذ سنوات. غير أن السرقة لا تعرف الحدود، فخلال اجتماع خبراء خُصص «للاتجار بالآثار في زمن كوفيد 19» في حزيران/يونيو، تحدث أوتوني عن محاولة لسرقة أحجار من كاتدرائية نوتردام في باريس التي توقفت أعمال ترميمها خلال تدابير الحجر.

«أدت الأولويات الصحية لتراجع الاهتمام بحماية التراث»، يقول كاتيزي. وباتت متاحف ومواقع أثرية كثيرة في العالم مهجورة بسبب الجائحة من دون حراسة مناسبة، ما يترك التحف التي تكتنزها تحت رحمة مهرّبين، أفرادا وشبكات، وحتى مجموعات إرهابية.

وفي هولندا، تعرضت لوحة للرسام فان غوخ إلى السرقة نهاية آذار/مارس من متحف كان مغلقا أمام العامة منذ أسبوعين. وقد «وصل السارق على دراجة نارية وخلع الباب وغادر مع اللوحة. وكانت مهمته سهلة في ظل عدم وجود أي دوريات، في مدينة تشهد في العادة ليلا حركة للمارة والسائقين»، وفق كورادو كاتيزي الذي يرى في ذلك «أفضل مثال على الجريمة في حق الممتلكات الثقافية خلال فترة الحجر». مع ذلك، سُجلت أكثرية السرقات خلال هذه الفترة بفعل عمليات نبش غير قانونية في العالم العربي، وأيضا في أفريقيا جنوب الصحراء، وأميركا اللاتينية. ويقول أوتوني: «في أحيان كثيرة تُنبش أجزاء من قطع. لذا تصاب عناصر أساسية بالتلف». ويوضح عمرو العزم، وهو أستاذ في جامعة شاوني في ولاية أوهايو الأميركية: «تصدّر الدمار الكارثي الذي لحق بأسواق حلب القديمة سنة 2012 عناوين الأخبار، لكن الدمار الأكبر يأتي فعليا من عمليات النهب». ويتوقف العزم عند التبعات الاقتصادية المترتبة عن الجائحة، خصوصاً مع فقدان كثيرين حول العالم موارد رزقهم. ويقول: «في أوقات الاضطرابات القوية، يبحث الناس عن سبل البقاء، خصوصا في البلدان التي تواجه مصاعب اقتصادية قوية بينها على سبيل المثال سورية أو لبنان».

ومنذ 2013 و2014، يلاحظ هذا المدير السابق لأحد المختبرات التابعة للمديرية العامة للآثار والمتاحف في دمشق، أن «الضالعين في عمليات النهب لا يلجؤون بالضرورة إلى الشبكات التقليدية للبيع»، إذ باتوا يركزون على شبكات التواصل الاجتماعي التي تسجل شعبية متنامية في الشرق الأوسط. ويستعين الباعة بخدمات إلكترونية كثيرة لاستقطاب الزبائن، بما فيها «فيسبوك» و«واتساب» و«إي باي».

(فرانس برس)

وأخيراً

من الورق إلى الشاشة

سما حسن

عندما تقرأ خبرًا عن تحويل رواية ناجحة إلى فيلم، أو مسلسل تلفزيوني، فذلك يعني، في اعتقاد الجميع، أن هذه الرواية راجت بين أيدي القُرَّاء، والقرَّاء قلّة، ويتناقصون مع مرور الأيام؛ فلم تعد القراءة رائجةً متعة وهواية، ولكن الناس لم يتوقفوا عن مشاهدة الشاشات، وأصبحوا يلاحقون المنصّات الإلكترونية، في ما تنتجه وتضخُّه، يومًا بعد يوم. وفي ذلك ترى أن عشَّاق رائحة الورق، والسابحين مع خيال الكاتب، والسائرين وراء سيالات قلمه ونبضه، هم المحتجُّون، والباحثون عن الثغرات، والمشكِّكون دومًا بأن ينجح الفيلم، كما نجحت الرواية. والسبب أن خيالهم قد اشتعل، وتحرّك، وتفاعل مع الكاتب. أمَّا في الفيلم، أو المسلسل، فصُنَّاعه استخدموا رؤيتهم الإخراجية؛ لكي يعبِّروا عن الفكرة المطروحة في الكتاب.

لك أن تتصوَّر فقرة طويلة كتبها الكاتب، يصف فيها شعر البطلة، تخيَّل كم سرحت مع كلماته، وكيف غرَّد خيالك، وتسلَّق أعلى غصون سحر الكلمات، ولكنك تُفاجَأ بأن المُخرج قد استعاض عن هذه الفقرة بباروكة وضعتها البطلة على رأسها، يمكن أن يكون الأمر قد استغرق مع المخرج وقتًا؛ لكي يحوِّل فكرة وصف شعر البطلة إلى هذه الكومة من الشعر المستعار، ولكن الوقت الذي استغرقه الكاتب أطول، وهو يصف. أما الوقت الذي أمضيتَه أنت في رحلة خيالك فسيكون أطول، وفي كلِّ مرَّة تستعيد الوصف والمفردات فأنت تستغرق وقتًا أطول، وأكثر إمتاعًا.

قد يصدمك تحويل الكتاب إلى عمل فنِّي على شاشة التلفزيون، أو السينما. ولكن لا بد من بعض الاستثمار لنجاح العمل ورقيًا، لو سلَّمْنا أن المؤلف لم يجنِ مالًا كافيًا من الورق، ولكن شراء العمل، وتحويله إلى عمل فنِّي سوف يدِرُّ عليه مالًا أكثر. إضافة إلى الشهرة، وبدلًا من جلوس الكاتب في مقهى المثقفين الفقراء المهمَّشين، سوف يسير على السجَّادة الحمراء، ويجالس كبار النجوم، ويشمُّ العطور الفاخرة التي يتضمّخون بها. وسوف تُعرَف صورته، وتُنشَر معهم، وهم يتناقشون حول العمل، أو يقتطعون قالبًا كبيرا من الكعك وضعت عليه صورة النجمة التي ستؤدي دور البطلة، والتي غالبًا لم تقرأ صفحة من الكتاب الأصلي، ولكن اسمها وشهرتها جاءا بها لتصبح البطلة التي أحبَّها بطل سلسلةٍ من الروايات المثيرة، مثلًا، والتي عشتَ سنوات عمرك، وأنت تقرأ وصف حبِّه لها، وتتوقَّع أنك في الأربعين من عمرك، قد تلتقي بحبِّ عمرك، فهذا الحب المتأخر يدفعك إلى أن تتمسَّك ببعضٍ من أشذاب حياتك المهلهلة.

ضجَّة كبرى أثيرت بسبب تحويل بعض روايات الكاتب المصري الراحل، أحمد خالد توفيق، إلى مسلسل حمل اسم السلسلة نفسه «ما وراء الطبيعة». وبالمناسبة، فقد كان صدور أوَّل عددٍ من السلسلة التي بلغت 80 عددًا متزامنًا مع احتفالي بأمومتي الأولى (العام 1993)، ولكن ذلك لم يمنع أن أصبح قارئة نهمة لرواياتٍ تحبس الأنفاس، يخوضها بطلٌ مختلف عن كل أبطال روايات الشباب، والذي أجاد وصفه الكاتب أحمد خالد توفيق، حتى تعلَّق به القرَّاء الصِّغار والكبار، وأحبُّوه، حتى وهو يدخِّن بشراهة، كقاطرة فحم، أو حين يبدو أنيقا ببذلته الكُحْلِيَّة الوحيدة، ورأسه الأصلع، ونحافته الشديدة كقلم رصاص «هذه أهم أوصاف البطل، طبيب أمراض الدم، رفعت إسماعيل».

> ضجّة كبرى أثيرت بسبب تحويل بعض روايات أحمد خالد توفيق إلى مسلسل حمل اسم «ما وراء الطبيعة»

بعد كلِّ هذه السنوات التي احتفظتُ فيها بسرِّي الأعظم، عن بطلٍ غير معتاد، لا يمتلك الوسامة، ولا البطولة الجسدية، يظهر مسلسل على الشاشة؛ لكي يصبح رفعت إسماعيل معروفًا لكلِّ هؤلاء الذين يشاهدون مغامراته الخارقة مع جانب النجوم والعوالم الموازية، وهم يلتهمون «البوب كورن»، فيما كنتَ تقرأ رواياتِه وأنتَ منعزلٌ عن العالم، محبوس الأنفاس، تكاد تسقط ميِّتًا، في ركن معتم من غرفتك، لا ينفذ إليه إلا ضوء يسير، يكاد يريك السطور أمامك، وتكتشف أن تجربة نقل الورق إلى الشاشات تجربة ليست سهلة. ولكن يجب عدم المقارنة؛ لكي لا تظلم أيًا من العملين. ولكنك، كقارئ مزمن ومدمن، الخاسر الوحيد، والأعظم فيها، أنت الخاسر لحلم وسرٍّ لم يعودا كذلك.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**